المدينة المنورة في العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) «دراسة تاريخية»

رسالة دكتوراه لعبدالرحمن مديرس المديرس

المديرس ، عبدالرحمن مديرس . المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) : دراسة تاريخية .- رسالة (دكتوراه) .- إشراف عبدالعزيز صالح الهلابي .- الرياض : جامعة الملك سعود ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .- ٤٠٧ ورقة .

إن موضوع هذه الرسالة هو : المدينة المنورة في العصر المملوكي «دراسة تاريخية» . وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع من المكانة الخاصة التي تمثلها المدينة عند المسلمين ، ففيها ثاني الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال، وكانت

أول عاصمة للدولة الإسلامية ، ومن تكون له السيطرة عليها يصبح له مكانة خاصة في نفوس المسلمين . ونظراً لعدم وجود سلطة مركزية في الجزيرة العربية بعد انتقال الخلافة من المدينة فقد أخذت القوى المحلية تتصارع للسيطرة على المدن والأقاليم ، وتمثل الصراع في الفترة المملوكية في المدينتين المقدستين بين أشرافها من الحسنيين والحسينيين ، وكان لهذا الصراع أثر في أوضاع المدينة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والعلمية ، كما حدثت تغييرات في أحوالها الدينية المذهبية أثناء فترة الدراسة وكان للمماليك أثر فعال في أحداث تلك الفترة التي تمتد بين (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) وهي فترة طويلة وحافلة بالأحداث وشمل تأثيرهم مجمل أوضاع المدينة.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعنى بدراسة فترة تاريخية هامة من تاريخ المدينة وهي فترة العصر المملوكي في نواحيها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والدينية ، والعلمية .

لهذا تهدف هذه الدراسة - كما يشير الباحث - إلى كشف الغموض في هذه الجوانب وإلى بحث وتحليل عناصرها المختلفة ، ومدى تأثير كل منها في الآخر ، وتأثره به بما يوضح قسمات صورة الحياة العامة في المدينة في تلك الفترة .

وقد قسم الباحث دراسته إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : خصص لدراسة الأوضاع السياسية ، وقد قسم الفصل إلى محورين أساسيين : المحور الأول يختص بدراسة الأحوال السياسية الداخلية ، ويشتمل على نقطتين سبق بتمهيد عن

أوضاع المدينة السياسية قبل قيام الإمارة الحسينية ، ثم تحدث الباحث في النقطة الأولى عن قيام إمارة بني مهنا في المدينة ، تلك الإمارة التي بدأت منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وتتضمن الأوضاع السياسية في ظل هذه الأسرة حتى نهاية العصر الأيوبي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م).

أما المحور الثاني من هذا الفصل فيتضمن دراسة علاقات المدينة الخارجية التي عالجها من خلال ثلاث نقاط أساسية ، تحدث في النقطة الأولى عن علاقة المدينة مع السلطة المركزية الممثلة بالسلطنة المملوكية في القاهرة التي كان لها تأثير في تشكيل صورة الأوضاع السياسية في المدينة باعتبار ما لها من نفوذ على القوى السياسية المحلية في المنطقة . وفي النقطة الثانية ناقش الباحث العلاقة بين المدينة ومكة ، حيث نلاحظ أن لأشراف مكة منذ القرن الرابع الهجري مطامع سياسية ، حاولوا من خلالها سيطرتهم على المدينة في فترات مختلفة ، وكان للعلاقة بين الطرفين أثر كبير في الأوضاع السياسية في الحجاز بصفة عامة . وفي النقطة الثالثة والأخيرة تحدث عن العلاقة مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة والتي كان لبعضها تأثير في أوضاعها السياسية والاقتصادية .

الفصل الثاني : يتعلق بدراسة الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة ويتضمن ثلاث نقاط أساسية : تتعلق النقطة الأولى بالنشاط الزراعي الذي يعد الركيزة الأولى في النشاط الاقتصادي للمدينة منذ

صدر الإسلام حتى فترة الدراسة . ويتضمن هذا النشاط عدداً من الجوانب المختلفة المتعلقة بمصادر المياه ، والمناطق الزراعية. أما النقطة الثانية فتتضمن النشاط الصناعي والحرفي الذي يشتمل على المهن والحرف الأساسية الموجودة في المدينة. أما النقطة الثالثة فتتطرق للنشاط التجاري الذي كان له أثر كبير في تحريك جوانب الأنشطة الاقتصادية الأخرى ، ويتضمن النشاط التجاري عنصرين أساسيين، هما : التجارة الداخلية والتجارية الخارجية، مع ما يتضمنه كل عنصر من جوانب عديدة تتعلق بالأسواق ، وأنواع السلع ، وموانئ الاستيراد والتصدير والطرق التجارية وما إلى ذلك مما يدخل في النشاط التجاري.

الفصل الثالث : تطرق الحديث فيه عن الحياة الاجتماعية ، وذلك في عدة نقاط: تتعلق النقطة الأولى بدراسة السكان وتشمل عناصر السكان - وهي الشرائح الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع المدينة - ، والأصول الاجتماعية لسكان المدينة ، والعلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني ، وتتطرق النقطة الثانية إلى السكن، وتعالج النقطة الثالثة الأطعمة والأشربة ، أما النقطة الرابعة فتتعلق باللباس ، وتتحدث النقطة الخامسة عن العادات والتقاليد، وأخيراً تعالج النقطة السادسة المصاهرات بين الأسر في المجتمع المدني .

الفصل الرابع : يتناول الأحوال الدينية والمقصود بذلك الأحوال المذهبية والفقهية وما يتعلق بها من وظائف أو مناصب دينية ، وقد قسم الباحث

هذا الفصل إلى نقطتين أساسيتين عالج : في النقطة الأولى المذاهب الفقهية التي تتضمن انتشار المذاهب الإسلامية المختلفة في المدينة ، ومدى نفوذ كل مذهب أو قوته وعدد أتباعه. أما النقطة الثانية فتتعلق بالوظائف الدينية التي تتضمن عنصرين أساسيين : العنصر الأول : يتعلق بالوظائف في المسجد النبوي التي تشتمل على الإمامة والخطابة ، وخدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة ، والمؤذنين ، والفراشين، والبوابين ، والسقائين، ووظائف أخرى تتعلق بالمسجد النبوي وخدمته . أما العنصر الثاني فتطرق لقضاة المدينة .

الفصل الخامس : يتناول الحركة العلمية ، التي تشتمل على عدة نقاط ، تحدث الباحث في النقطة الأولى عن التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب، ثم عالج في النقطة الثانية نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي، وتضمنت النقطة الثالثة حديثًا عن المدارس ودورها العلمي، وتحدث في النقطة الخامسة عن الأسر العلمية ودورها في الحركة العلمية، أما النقطة السادسة فتتطرق للرحلات العلمية للعلماء وطلبة العلم من وإلى المدينة وأثرها في تلك الحركة . أما النقطة السابعة فقد تحدث فيها عن العلوم والمؤلفات العلمية ، وكانت النقطة الثامنة تتعلق بالمكتبات أو خزائن الكتب، وناقش في النقطة التاسعة الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم .

الخاتمة : وتضم أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث .